وسطية الإسلام

وأهميتها في الدعوة الإسلامية

سهيل بن عبد الله الفيضي

الهند

حرم الوافي الجامعي

mkskodassery@gmail.com

ISSN: 2071-6028

ISSN: 2071-6028

وسطية الإسلام وأهميتها في الدعوة الإسلامية

سهيل بن عبد الله الفيضي
الهند ـ حرم الوافي الجامعي

هدف البحث: تهدف هذه الدراسة إلى توضيح وسطية الإسلام في مختلف المجالات عامة، وفي مجال الدعوة خاصة، حيث يواجه الإسلام تحديات عديدة من أعداء الإسلام والجهال عنه، بما يقولون عنه إنه دين التشدد والتطرف والإكراه لاعتناقه. منهجية الدراسة: يعتمد هذا البحث على منهج التحليل النظري، فسرد بيانات البحث هو بتحليل النصوص من الكتب المعتمد عليها والاكتشاف منها. النتائج المرجوة من البحث: أرجو بإتمام هذه الدراسة إزالة المشكلات والظنون عن وسطية الإسلام في الأمور سيما في الدعوة والتعايش مع الآخرين، بالتوضيح عن وسطية الدين الإسلامي، ومنهج الإسلام في الدعوة إليه. الخاتمة والتوصيات: أعتقد بأن هذه الدراسة تكون مفيدة لإبراز قيم الوسطية، والاتاجاهات الإسلامية حول الوسطية. وينبغي أن تكون نطاق الوسطية واسعةً من أجل السلام العالمي، وإليها بعض التوصيات: ١. تعميم منطق الحوار بين الحضارات والأديان والاتجاهات. ٢. تشجيع المؤتمرات والشورى عن هذا الموضوع بما فيها غير المسلمين أيضا. ٣. توظيف الفن والتعليم بما يبرز قيم الوسطية. ٤. توفير الترجمات للكتب العربية التي حول الوسطية إلى لغات أخرى.

الكلمات المفتاحية: وسطية ، أهمية ، دعوة

The Significance of Islamic Moderation in the Dissemination of Islamic Doctrine

Dr. Suhail Abdullah Al-Fadhy

Abstract: The study discusses the significance of Islamic moderation in various domains, particularly in the dissemination of the Islamic doctrines to confront claims of opponents using clear cut evidences from the Holy Quran and Prophet Traditions as well as books of interpretation. The study aims at clarifying the moderation of Islam in the domain of preaching whereby Islam confronts opponents' accusations as being a religion of extremity and coercion. To achieve this objective, the study adopts the theoretical analytical approach by analyzing data collected from outstanding references to arrive at plausible justifications. It is hoped that by conducting this study, problems and doubts concerning the moderation of Islam will be removed, particularly when it comes to preaching and coexistence. The significance of this study stems from its attempts to highlight the values of moderation and Islamic trends concerning moderation. The scope of moderation must be wide enough to achieve world peace. Based on the findings of the study, the following recommendations can be highlighted; - Enhancing dialogue among civilizations, religions and trends. - Holding conferences and consultations on moderation. - Arts and educational institutions should be employed to highlight the values of moderation. - Translating books in Arabic that focus on moderation to other languages.

Keywords: medium, importance, call

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي وفقنا لهذا، والصلاة والسلام على من أرسل إلى كافة الخلق بشيرا ونذيرا، وعلى آله وصحبه الفائزين بجهدهم لاتباعهم له أجمعين... وبعد:

فمما يتفق فيه الجميع أن الانسان حيوان اجتماعي، فلا يمكن لأحد أن يعيش وحيدا في العالم، بدون اعتماد إلى الآخرين بوجه ما. فالانسان يعيش في الأرض اجتماعيا ولو كانت دياناتهم مختلفة وعقائدهم متلونة. فلا يظلم بعضهم بعضا، ولا يظهر بعضهم عداوة بعضهم، لأجل أن تكون الحياة مستقرةً وهادئةً في العالم، وأن يتفق الأفراد معا، في الشؤون العامة والأمور الاجتماعية، حتى يكون جميع أفراد المجتمع تحت مظلة السلامة، مع اختلاف أديانهم وعقائدهم. فدور التعايش السلمي بين هذه الأديان العديدة بالتعاون بين الأشخاص بغض النظر عن الديانة الخاصة بهم مهمّ لا يستغني عنه أحد من الناس.

إن المجتمع يتكون من الأفراد بما فيهم أهل أديان مختلفة وملل متنوعة، فلا يمكن عيشهم بالسلامة والتعاضد والتعاطف إلا بوسطيتهم في التعامل مع الأديان العديدة، واعتدالهم في خطاب جميعهم مع الآخرين. لكن في العصر الراهن يتعرض الإسلام وأهله لتحديات خطيرة، واتهامات شديدة، ولا نريد هنا إرخاء السدول عن حقيقة ما يتهم به بعض أعداء الإسلام. على أي حال يجدر القيام هنا باكتشاف أساس الإسلام ومناهجه في التعامل مع الآخرين من غير المسلمين في العالم، وتوضيحها بالنصوص الواردة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتاريخ الإسلامية، كما يجدر القيام على مضامين وسطية الإسلامية ودورها في الدعوة الإسلامية حيث يواجه الإسلام تحديات عديدة حول التشددية والإكراه وغيرها مما يجعل الناس خائفين من الاقتراب منه والسماع عنه.

المبحث الأول: وسطية الإسلام

المطلب الأول: مفهوم الوسطية وأهدافها

الوسطية اسم مؤنث منسوب إلى "وسط"[١]، ووسط الشيء ما بين طرفيه[٢]، فالوسط: اسم لما بين طرفي الشيء، وهو المعتدل، أو ما بين الجيد والرديء كما جاء في الصحاح للجوهري، وأوسط الشيء: أفضله وخياره وأعدله[٣].

فمعنى الوسط العدل ثابت عن النبي ﷺ، فقد روى الإمام أحمد والبخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ فسر الوسط بالعدل[٤].

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصر، مادة "وسط".

(٢) معجم لسان العرب، مادة "وسط".

(٣) القاموس، مادة "وسط".

(٤) صحيح البخاري، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان: ٥٨٥ برقم (٣٣٣٩).

ويفهم من هذا أن أوسط الشيء أفضله وخياره، كوسط المرعى فإنه خير من طرفيها، وكوسط الدابة للركوب فإنه خير من طرفيها ليتمكن للراكب من الركوب سهلا. فالوسطية نعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد الطرف المقابل وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ويطغي على مقابله ويحيف عليه.

فالتوازن والتوسط ظاهرة في الكون كله، ننظر في هذا العالم من حولنا فنجد الليل والنهار والظلام والنور والحرارة والبرودة والماء واليابس كلها بقدر وميزان وحساب لا يطغى عليه شيء منها على مقابله ولا يخرج عن حده. فالهدف بهذه الوسطية والتوازن بين الطرفين أعظم، لأن قوام الكون مستمد عليها حيث إذا وقع فيها أي خلل لما يقع الكون مستقيمة، كما إذا استمرت الحرارة دون برد أو بالعكس لما استطاع العيش في العالم هادئا ساكنا. فأهمية الوسطية مما لا حد له ولا مثيل في العالم.

المطلب الثاني: وسطية الإسلام ومجالاتها

يمكن تعريف الإسلام بتعاريف كثيرة منها "هو الخضوع والاستسلام ولانقياد لله رب العالمين، ويشترط فيه أن يكون اختياريا لا قسريا لأن الخضوع القسري لله رب العالمين أي لسننه الكونية أمر عام بالنسبة لجميع المخلوقات ولا ثواب فيه ولا عقاب[١]، قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[٢]. والوسطيّة تُعرف بشكل عام بأنها نقطة تتوسط وتفصل بين التشدد والانحلال، وتعتبر الوسطية الإسلامية بأنها موقف أخلاقي ومنهج فكري وسلوكي ينتهجه الإسلام، بقمع التشدد في الخطاب وفي غيرها من التعامل بالآخرين. إن الوسطية سمة من سمات الإسلام، منهج الأمة المسلمة الذي سلم من الإفراط والتفريط، وقد جاءت في القرآن والأحاديث النبوية دلائل كثيرة لها. فمنهج الإسلام في كل مجالاتها من العبادات والتشريع والأحكام والأخلاق.

ومن الآيات الكريمة التي تشير إلى وسطية الإسلام في العقيدة قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[٣]. نجد في هذه الآية التحذير عن مجاوزة الحد في الدين، ومن ذلك أمر عيسى عليه السلام، فنهى سبحانه

(١) أصول الدعوة، الدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٩: ص ٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٨٣.

(٣) سورة النساء، الآية ١٧١.

عن حطه عن منزلته أو رفعه فوق قدره. وهذا وسطية الإسلام في الاعتقاد، وهكذا نرى في جميع جوانب الحياة الإسلامية وسطية.

والعبادات الإسلامية كلها يتوسط التكليف بمعناه العام فلا مشقة فيه ولا هوان في أمره، فالإسلام يطلب من المسلم أداء شعائر محمودة في اليوم كالصلاة أو في السنة كاصوم، ليظل دائما موصولا بالله غير مقطوع عن رضاه ثم يطلقه بعد ذلك ساعيا منتجا يمشي في مناكب الأرض ويأكل من رزق الله، وإليه تشير آية القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١). فتجتمع في العبادات عظمة التكليف في قيمته ويسره في أدائه. وإليه يشير قوله عز وجل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(٢).

فمن وسطية الإسلام في الخطاب أن ليس فيه إكراه مع أحد من الخلق لاعتناقه، ولكن منهج الإسلام هو مجرد التذكير والتنبيه، حيث قال الله جل شأنه في محكم تنزيله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٣). وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد الجرشي عن زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله ﴿لا إكراه في الدين﴾، قال: نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له : الحصيني كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلا مسلما فقال للنبي ﷺ: ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية ؟ فأنزل الله فيه ذلك"(٤). فهذا موقف الإسلام في الخطاب مع الآخرين من غير المسلمين.

وقد بين الله تعالى وسطية الإسلام والمسلمين في أمورهم بآي أخرى، حيث إنه تعالى وصف المسلمين أمة وسطا، يقول ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٥). أوضح الطبري هذا التشبيه بقوله: كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه السلام وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته،

---

(١) سورة الجمعة، الآيتان ٩-١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م: ٣/٢٠.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم، ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان بأن جعلناكم أمة وسطًا. والوسط في كلام العرب: الخيار. ثم قال: وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين، ووصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقيلهم (قولهم) في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم – أي المسلمين– أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها[١]. فهذه الآية تدل على أن الإسلام دين الوسطية في الأعمال والأقوال والمحبة والبغض وما يتصل بها من جميع نواحي الحياة. وقد قال النبي ﷺ: "خير الأمور أوسطها"[٢].

فالمبالغة في الأمور والإسراف فيها، مما يصعب به القيام بالعدل والسلامة في العالم بالتوازن الاجتماعي. فالإسلام دين الوسطية يدعو إلى إقامة العدل والتعامل بالقسط، حتى مع غير المسلمين، ويقف موقفَ الوسط في تعاليمه وتشريعاته، سواء في الميدان الاجتماعي أو الميدان الاقتصادي، وفي ممارسة العبادات، وفي ميدان المعاملات، فالمسلم انسان متوازن معتدل في معتقده وسلوكه. وقد جاءت آيات كثيرة أخرى لتُظهر مناهج الدين الواسعة ووسطيته القيمة في حياة المجتمع بالتعايش السلمي، بين المجتمع والقيام بالمساوات والعدل بين الناس، على الرغم من أنهم ينتمون إلى أديان مختلفة، حتى تكون الحياة مستقرة هادئة تحت مظلة الانسانية والسلام. فلا يمكن القيام بالعدل في الدنيا إلا بالوسطية والاعتدل في التعامل مع الآخرين في المجتمع. لأن المناهج التشددية معارض للعدل والفكر الواسع، فلا يكون العدل مع وجود التطرف والتشدد في المجتمع، والإسلام قد حذر عن هدم القيام بالعدل باسم اختلاف الديانات والجنسيات وما إلى ذلك، من التعدديات الموجودة بين الناس.

ومن وسطية الإسلام في التشريع ضرورة المساوات في التشريع، يقول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[٣]، إن النبي ﷺ علّمنا حدود الوسطية وسلوكها بمعاملاته الشامخة مع الآخرين من اليهود والنصارى وغيرهم. وكان يقوم بالعدل والمساوات في الأحكام والتعامل، حيث أمر الله جل شأنه أن يقوم الجميع بالعدل رغم اختلاف الأفراد في عقائدَ وأخلاقٍ واختلافاتٍ متنوعة أخرى، يقول سبحانه في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ«تفسير الطبري»: ١١/٢.
(٢) شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي (ت٤٥٨هـ)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية، بومباي بالهند، ط١: ٢٦١/٥.
(٣) سورة النحل، الآية ١٢٦.

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١]، وهذه السماحة والوسطية التي ساعدت في انتشار الإسلام، عبر العالم طول الزمان منذ بداية هذا الدين القويم، فالوسطية هي سمة من سمات الإسلام، يمكن به لكافة الناس القيام بالعدل والمساوات في المجتمع دون النظر إلى ديانات الأفراد وعقائدهم.

وكان النبي ﷺ مثالا لهذا الاعتدال والوسطية في كلامه وحركاته وسكناته كلها، حيث قال: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ولن يشاد هذا الدين إلا غلبه"[٢]. وهذا يشير إلى الاقتصاد في الطاعة، يعني أن هذه الشريعة لم يضع الله ﷻ فيها على هذه الأمة الآصار والأغلال، التي كانت على من قبلنا، وإنما جاءت الشريعة سهلة ميسرة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٣]، والنبي ﷺ يقول: "بُعثت بالحنيفية السمحة"[٤]، وذلك أن الله تبارك وتعالى لم يكلفنا فيها ما لا نطيق، كما جاء في التنزيل: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[٥].

فبالجملة، إن هذه الشريعة لا يوجد فيها تكليف واحد يخرج عن طوق المكلفين وقدرتهم، بحيث لا يتمكنون منه، أو أنهم يتعرضون بها لمشقة باهظة عظيمة، ومن أبلغ الأمثلة لتوسطية الإسلام في العبادات، نهيُ النبي محمد ﷺ أصحابه عن الغلو والمبالاة في العبادة، لئلا تصل إلى مشقة بالغة ومضرة باهرة، حيث قال لأصحابه الذين أرادوا حرمان أنفسهم، من طيبات الدنيا ظناً منهم أن ذلك يقربهم من الله: أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني[٦]. وهكذا بين ﷺ منهجَ الإسلام في العبادة القائمَ على كمال الوسطية، فعندما أراد سعد بن أبي وقاص ﷺ أن يوصي بماله كله أو نصفه، أجاز له ﷺ أن يوصي بثلث ماله، وقال له: "الثلث والثلث كثير"[٧]. وقد حدد الإسلام لكل شيء حدودا وضوابط، حتى في المحبة والبغض، مع أن الإسلام دين الأخوة والمحبة. وإلى هذا قولُ النبي ﷺ: "أحبب حبيبك هونا ما، عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما، عسى أن يكون حبيبك يوما ما"[٨].

---

(١) سورة المائدة، الآية ٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ص٢.

(٣) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر: ص٢.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٦) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح: ص٩٣٢.

(٧) صحيح المسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن حجاج القرشي النيسابوري (ت٦٢١هـ)، مكتبة عباد الرحمن، مصر، ط٢، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث: ص ٥٥٤.

(٨) سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض: ٦٢٢/١.

فالوسطية في الخطاب عنصر من أهم عناصر الخطاب السلمي، حتى لا يشعر في ذهن المخاطب عداوة ولا نفرة على المتكلم. وهذه الوسطية هي التي ساعدت في نشر الإسلام في العالم. ومن المفهوم أن العصبية والتشددية تنبعث من عدم هذه الوسطية والاعتدال، لا سيما في الخطاب فلا تستقر الحياة في العالم هادئة ساكنة.

المطلب الثالث: وسطية النبي ﷺ في تعامله مع كفار مكة

ومن أساس الوسطية في الخطاب والتعامل مع الآخرين التعايش السلمي، ولقد أبلغت نصوص القرآن ومواقف السيرة النبوية بما يدلُّ على أن الإسلام يُؤْثِرُ دائما السلام، وكان رسول الله ﷺ يبحث عن الطرق السلمية والوسطية في جميع الأحوال، للتعامل مع المخالفين له من المسلمين وغير المسلمين والتعايش بهم، ويحرص على تجنُّب الحرب ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. فلا شك في أن الوسطية هي عنصر هام للسلام بين الناس، لا سيما بين الأديان المختلفة. وأهم آثار النبي ﷺ في التعايش مع كفار مكة ما يلي:

- **الدعاء لهم بالهداية:**

ومن دلائل وسطية النبي ﷺ وسماحته، أن كان يدعو لهم بالهداية، ولم يلتفت إليهم بالإكراه ولا بشدة. فكان ﷺ يخصُّ بدعائه كل المشركين، بل ومن عاداه كل العداء، كأبي جهل وعمر بن الخطاب قبل إسلامه، وكانا من ألدِّ وأشهر وأقوى أعداء الإسلام والمسلمين. فكان النبي ﷺ يدعو لهما حيث قال: "اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. فَكَانَ أَحَبَهُمَا إِلَى اللهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ"(١). ولا يستطيع لأحد أن يسره هدايةُ الآخرين، إلا برقة قلبه وعطفه، وهما تنبعث من منهج الاعتدال.

- **مشاركته في المعاهدات مع الكفار:**

كان النبي ﷺ يشارك في المعاهدات والمعاملات مع الآخرين، من غير المسلمين، كما كان مع المسلمين. وقد عقد رسول الله ﷺ عدَّة معاهدات مع المشركين؛ سواء منهم من كان حول المدينة أو في مكة ذاتها. ومن أهم تلك المعاهدات حلف الفضول، هو أحد الأحلاف الجاهلية الأربعة التي شهدتها قريش، وعند رجوع قريش من حرب الفجار تداعوا لحلف الفضول فتمّ في دار عبد الله بن جدعان التميمي أحد رؤساء قريش، وكان المتحالفون بني هاشم، وبني المطلب ابني عبد مناف، وبني أسد بن عبد العزى، وبني زهرة بن كلاب، وبني تيم بن مرة تحالفوا وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، حتى تردّ إليه مظلمته، وقد حضر هذا الحلف رسول الله ﷺ مع أعمامه، وقال بعد أن شرّفه الله بالرسالة: "لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النّعم، ولو

(١) سنن الترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب: ص١٠٩٠.

دعيت به في الإسلام لأجبت"[١]. وهذا من نموذج لحضور النبي ﷺ في المعاهدات مع الكفار على أنه ﷺ من يعيش معهم في المجتمع، فلا ينبغي لأعضاء المجتمع أن تكون مستقلة عن الآخرين باسم الأديان والعقائد.

- **الخطاب بالتبشير:**

كانت حياة رسول الله من أقوال وأفعال مبنية على التبشير، ولم يكن يخرج عن هذا الطبع على الرغم من قسوة المشركين عليه؛ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادٍ الدِّيلِيِّ وَكان جاهليًّا أسلم، فقال: رَأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: "يا أيّها النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا"، وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا، وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ يَقُولُ: "أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا" وإِلَّا أَنَّ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ، قُلْتُ: إِنَّكَ كُنْتَ يَوْمَئِذٍ صَغِيرًا ! قَالَ: لَا وَاللهِ إِنِّي يَوْمَئِذٍ لَأَعْقِلُ"[٢].

ولم يخرج رسول الله ﷺ عن أدبه وتوسطيته، في المعاملة والخطاب حتى مع السفاهة الواضحة لأبي لهب، وظلَّ على منهج التبشير يدعو الناس إلى الفلاح والنجاة، بل إنه كان يُبَشِّرُهم بمُلْكِ الدنيا قبل نعيم الآخرة إنْ هم آمنوا بالله ولم يشركوا به شيئًا؛ قال عبد الله بن عباس ﷺ: مرض أبو طالب فجاءته قريش وجاءه النبي ﷺ، وعند أبي طالب مجلسُ رجلٍ، فقام أبو جهل كي يمنعه، وشكوه إلى أبي طالب، فقال: يابن أخي، ما تُريد من قومك؟ قال ﷺ: إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ"(ما يؤخذ من أهل الذمة من خراج[٣]. قال: كلمة واحدة؟! قال: "كَلِمَةً وَاحِدَةً". قال: "يَا عَمِّ، قُولُوا: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ". فقالوا: إلهًا واحدًا؟! ما سمعنا بهذا في الملَّة الآخرة، إن هذا إلاَّ اختلاق، قال: فنزل فيهم آيات من سورة ص: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، إلى قوله: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ﴾[٤].

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري بك (ت١٣٤٥هـ)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان: ص ٢٢. والبداية والنهاية، الإمام الحافظ المؤرخ أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ)، طبعة خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ٢٠١٥ م: ٨٣/٣.

(٢) صحيح السيرة النبوية، الشيخ إبراهيم العلي، دار النفائس للنشر والتوزيع، العبدلي، مقابل عمارة جوهرة القدس، عمان، الأردن، ط١: ص٦٦.

(٣) معجم المعاني، مادة "الجزية".

(٤) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ص: ص ٩٦٤.

كان هذا هو الأسلوب النبوي في التعامل مع المشركين في هذه المرحلة الصعبة من تاريخ الدعوة، ولم يخرج رسول الله ﷺ أبدًا عن أدبه ودماثة خلقه، ولم يُغلق قضية من القضايا دون حوار، ولم يضع خطوطًا حمراء لاستفسارات المشركين، إنما كان يصول ويجول هنا وهناك، في منتهى الأدب والتواضع، داعيا إلى الله ورسوله محمد ﷺ.

- **حواره ﷺ مع المشركين:**

لقد كانت الوسيلة الأولى التي اعتمدها رسول الله ﷺ في مقاومته لوسائل الكافرين المتعددة في حربه، هي وسيلة "الحوار"؛ فقد كان رسول الله ﷺ يعلم أن حجَّة الله بالغة، وأن المكذِّبين لا يمتلكون دليلاً قويًّا على أباطيلهم؛ ومن ثَمَّ فميدان المناظرة والمحاورة هو ميدان عظيم للمؤمنين، وخسارة المشركين فيه مؤكدة، خاصةً إذا كان الحوار هادئًا غير متعصب، رقيقًا غير متشدد، يخاطب العقول حينًا، ويخاطب القلوب حينًا آخر؛ ولهذا كان الحوار هو المنهج الأساسي في الدعوة إلى الإسلام، على الرغم من التعنت الكافر، والسخرية المستمرة.

ويمكن أن نرى صورة من صور ذلك الحوار الذي كان يدور بين الرسول ﷺ وبين مشركي مكة بما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾(١). إذ يحاور الرسولُ ﷺ المشركين، مُبلِّغًا عن رب العالمين، أنه لو فُرِض أن لله ﷻ ولدًا على الحقيقة كما تزعمون، لعَبَدْتُهُ سبحانه على ذلك؛ لأني عبدٌ من عبيده، مطيع لجميع ما يأمرني به، ليس عندي استكبار ولا إباء عن عبادته؛ ولكن هذا ممتنع في حقِّه تعالى(٢). فلم يكن الرسول ﷺ يعيش في المجتمع، بعيدا عن الناس بل كان يخالطهم ويعاملهم ويحاورهم في طريقة وسطية، مع أنه متيقن بالحق والهدى من الله، بل كان يقوم بالحوار مع الآخرين من غير المسلمين، امتثالاً للمنهج القرآني الذي ورد في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾(٣).

- **صبر رسول الله ﷺ:**

وكان النبي ﷺ أشد الناس صبرا على إيذاء العدوان له، كما كان صابرا على ابتلاء الله ﷻ، ولم يتعامل مع أحد من الناس تعديا على وسطية الإسلام في مواجهة المشكلات والإيذاء. فقام ﷺ يصبر على ما واجه من القريش في مكة من الإيذاء والأوجاع. فعن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو عن أشدِّ ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيت عقبة بن

---

(١) سورة الزخرف، الآية ٨١.

(٢) تفسير ابن كثير، الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان: ١٣٧/٤.

(٣) سورة النحل، الآية ١٢٥.

أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه، فخنقه به خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه، فقال: أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ(١). وهكذا نرى كثيرا من الأوجاع والتهمات التي أصابته ﷺ، فكان موقِفَه الأعلى الوسطيةُ والصبرُ والرضا بقضاء الله سبحانه وتعالى، ولو كانت معاملاته –فرضا– مع الكفار وغيرهم ممن كان يعرض عليه أنواع من العذاب والتهمات وهو في البراء عن جميعها، بالمعاقبة والانتقام بمنهج الثأر بأكثر مما أصابه من العذاب، لَمَا كان استقرار الدين الحنيف في العالم، لأن معاملاته كلها مع الآخرين هي التي قلّبت قلوب أعداء الدين، وجعلتهم ممن أسلموا لله جل شأنه. وإلى هذا يشير قول ﷻ: ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾(٢)، ولكن الله ﷻ جعله صاحب المناقب المحمودة الشامخة، التي تناسب لمن يتحمل رسالة الله العظيمة، حيث قال في محكم تنزيله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾(٣).

وهكذا كان قيامه ﷺ في جميع أحوال الشدة والمصيبة، ولم ينفر أحدا ممن عاقبوه من الأعداء، ولم يعامل معهم بالشدة والكراهية قط، تحديا حدود الوسطية الإسلامية، بل قام على المحافظة بالاعتدال في الخطاب والمعاملات الأخرى.

وكما اشتدَّ الأذى على رسول الله ﷺ بعد موت عمِّه أبي طالب وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا. فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته تغسله وتبكي، ورسول الله ﷺ يقول: "لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك"(٤). ورغم هذا الإيذاء الذي سقنا طرفًا منه إلاَّ أن النبي ﷺ لم يمنع التعامل معهم، بل ظلَّ على حُسْن المعاملة من بيع وشراء. ومن فرط رحمته وحرصه عليهم لم يَدْعُ الله عليهم بالهلاك، هكذا كان تعامل النبي ﷺ مع مشركي قريش تعاملاً قائمًا على الرحمة والشفقة، ودليلاً أكيدًا على نبوَّته.

---

(١) صحيح البخاري: ص ٦٤٥

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٣) سورة القلم، الآية ٤.

(٤) البداية والنهاية، ص٣٦١.

المطلب الرابع: وسطية النبي ﷺ في تعامله مع غير المسلمين في المدينة

ولقد حاول الرسول ﷺ أن يعيش هو والمسلمون في المدينة أيضا بعد الهجرة إليها، في جوٍّ هادئ مع من يجاورونهم من اليهود والنصارى والمنافقين، ولم يَسْعَ عليهم بالقتال قط، بل كان دائمًا مؤْثِرًا السلم على الحرب، والوفاق على الشقاق. ولم يكن النبي ﷺ متشددا ولا مفرطا في تعامله معهم ولم يكره أحدا لاعتناق الإسلام رغم أنه والمسلمون كانوا قادرين عليهم، بل جعل ﷺ في المدينة جوا مناسبا للتعايش بين المسلمين وغيرهم من اليهود والنصارى، حتى لقد كتب رسول الله ﷺ وثيقةً سياسية اجتماعية، كانت في مثابة الدستور الذي سار عليه أهل المدينة، وثيقة قائمة على العدالة. كانت تلك الوثيقة على أربعة محاور:

- التعايش السلمي بين الجميع، وتوفير الأمن للجميع.
- المحافظة على الحرية الدينية للجميع.
- إعطاء الفرصة للجميع في المشاركة الاجتماعية والسياسية والعسكرية بصورة عادلة.
- إقرار مبدإ المسؤولية الفردية، وأصل هذه المسؤولية هو الإعلان عن النظام، وأخذ الموافقة عليه(١).

فوكان المعاهدون من اليهود والنصارى آمنين في حكومة الإسلام في المدينة، حتى قد حذّر الرسول ﷺ عن قتلهم تحذيرا شديدا، يقول ﷺ: "من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحَها توجد من مسيرة أربعين عاما"(٢). قال أيضا: "ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيبه يوم القيمة"(٣). وكان ﷺ أيضا يعود مرضى اليهود والنصارى، فقد روي أن غلاما يهوديا كان يخدم النبيَّ ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: أسلم فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار"(٤). فعيادته ﷺ رغم اختلاف دين غلامه اليهودي من دينه ﷺ عَلَمٌ من أعلام الدين المعتدل، ومنهج من مناهج الإسلام المتوسط، هذا هو المنهج النبوي الساطع بالتعامل مع الآخرين. فالوسطية في الخطاب والتعاملات الأخرى لها دور عظيم في الدعوة، لأن السلوكيات التي استندت بالوسطية هي الوسيلة الفذة للدعوة الصحيحة إلى الدين القويم، فانتشار الإسلام في العالم كان على هذه الوسيلة المعتدلة.

---

(١) قال الإمام المبادئ العظمى، الإمام العلامة نور الدين علي جمعة، الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٠م: ص ٢٦٦.

(٢) صحيح البخاري: ص٥٥٧.

(٣) سنن أبي داود، مكتبة تهانوي، ديوتند، أوتر براديش، الهند: ص٤٣٣.

(٤) صحيح البخاري: ص٢٣٥.

المبحث الثاني: دور الوسطية في الدعوة الإسلامية

المطلب الأول: مفهوم الدعوة وأهميتها

الدعوة مصدر "دعا"، ومعنى "دعا إلى الأمر": حثَّ على اعتقاده، نادى به(١). وإن الله خلَق الخلق، وأسبغ عليهم النِّعم، وسخَّر لهم ما في السماوات وما في الأرض؛ كل ذلك ليقوموا بعبادته سبحانه وتوحيده؛ ولذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ ليبيِّنوا للناس كيف يعبدون ربهم، وكيف يوحِّدونه، وليبيِّنوا لهم المنهج الذي شرعه الله تعالى لعباده: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(٢)، والدعوة إلى الله تعالى يُقصَد بها الدعوة إلى دينه، إلى الإسلام ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾(٣).

فالدعوة إلى الله ﷻ هي وظيفة الرسل والأنبياء، وهي من أعظم الأعمال التي يؤديها المسلم في دنياه، ويحتسبها لأخراه. أمر الله صبحانه وتعالى لأنبياه المرسلين أن يقوموا في الأرض، بتبليغ الدين والدعوة إليه، حيث يقول تعالى لمحمد ﷺ: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رِسَالَتَهُ واللَّهُ يعصِمُكَ من الناس إنّ اللَّهَ لَا يهدِي القوم الكافرين﴾(٤). فالدعوة الإسلامية لها أهمية كبيرة وشأن عظيم، فهي مهمة العلماء بعد الأنبياء لأنهم ورثة الأنبياء كما مر. ويجدر هنا بعض النقاط التي بها تظهر أهمية الدعوة إلى الله:

- إن الله تعالى تولاها بنفسه؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٥).
- إنها وظيفة الأنبياء والمرسلين؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(٦).
- أمر النبيُّ ﷺ أمَّتَه بالدعوة إلى الله ﷻ، حسب استطاعتهم وقدرتهم، بقوله ﷺ: "بلِّغوا عني ولو آيةً"(٧).

---

(١) معجم المعاني، مادة "دعا".
(٢) سورة النساء، الآية ١٦٥.
(٣) سورة النحل، الآية ١٢٥.
(٤) سورة المائدة، الآية ٦٧.
(٥) سورة يونس، الآية ٢٥.
(٦) سورة النحل، الآية ٣٦.
(٧) صحيح البخاري: ص٦١٢.

- نالت هذه الأمةُ بالدعوة إلى الله الخيريةَ، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ﴾(١).
- الدعوة إلى الله تعالى من أعظم الأعمال التى يحبها الله ﷻ؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٢).
- الدعوة سبب لعظيم الأجر والثواب، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "مَن دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومَن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام مَن تبعه، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا"(٣).

المطلب الثاني: أساليب الدعوة

إن أساليب الدعوة إلى الله متنوعة ومختلفة، وقد أوضح الله تعالى منهاج الدعوة السليم في القرآن الكريم في عدة مواضع، ومثل الرسول ﷺ تلك الأساليب بحياته الدعوية بأحسن تمثيل،حيث كان قدوة حسنة لصحابته الذين ساروا على نهجه، بعدَه في القيام بالدعوة الإسلامية، ولكن اليوم تواجه الدعوة الإسلامية تحديات كبيرة، لما يعدلون الكثيرون من الداعية عن أساليب الدعوة الإسلامية التي انتهجها السلف الصالح، وينسون أن الإسلام دين الوسطية. وعلى أي حال إن أساليب الدعوة الهامةَ التي جاء في القرآن الكريم نرى في قوله ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(٤).

نتعرف من هذه إلى ثلاثة أساليب للدعوة:

أسلوب الحكم وأسلوب الموعظة الحسنة وأسلوب المجادلة. فأسلوب الحكمة هو أسلوب يقوم على السداد في القول والعمل، واستخدام الطريقة والكلمات المثلى مع المدعوين، واختيار ما يناسبه مع تحكيم عقل الداعي. ومصادر تعلم هذا الأسلوب قراءة القرآن والسنة، ومجالسة الحكماء والاقتداء بهم. ومن مظاهر هذا الأسلوب أن يلتزم الداعي بتقديم الأهم على المهم، كأن يقدم العقائد والمسلمات على غيرها من العبادات والأخلاق ولا يتشدد في ذلك منفراً الناس. ومنها أيضا:

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١١٠.
(٢) سورة فصلت، الآية ٣٣.
(٣) صحيح مسلم، ص٧٥٤.
(٤) سورة النحل، الآية ١٢٥.

- التدرجُ في الدعوة والصبرُ على ما أصاب من الناس من الردود والاستهزاء وما إلى ذلك.
- الموائمة بين أسلوب الدعوة ومستويات الناس وأعمارهم.
- الاهتمام بأخلاق الداعي ليكون مرغوباً ومسموعاً بين الناس.
- استخدام الوسائل التي تساعد على نشر دعوته وفقاً بما يتوائم مع الجيل الذي يخاطبه والعصر والبلد الذي يعيش فيه.
- دراسة الموقف بشكل تام لمعرفة الحالة واختيار الطريقة المناسبة للدعوة، فقد يصلح أسلوب لحالة من الأحوال ولكنه قد لا يصلح لغيره.

وأما الموعظة الحسنة في المنهج الدعوي فهي مثل النصيحة والتذكير بالعواقب. ولها أشكال مختلفة منها القولُ المباشر بأسلوب لطيف ولين، والتعريضُ، وأسلوب التذكير بنعم الله، وأسلوبُ الترغيب والترهيب، واستخدامُ المدح والذم، وأسلوبُ القصة الهادفة. وقد جعله الله أمراً في القرآن ومنهجاً للدعوة قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾(١)، وعمد جميع الأنبياء على استخدام هذا الأسلوب في دعوتهم فكانوا خير قدوة في ذلك. ولكن هذا الأسلوب ليس بمجادلة ينبعث بها بين الداعي والمدعووين مخاصمة سلبية، ولكن ينبغي أن تكون هذا الجدال حوارا إيجابيا مستندا على الوسطية، حتى لا تكون نتيجته عداوة وكراهية بينهم.

فلا بد أن يكون الخطاب الإسلامي يراعي التوازن بين العقل والوحي، وبين المادة والروح، وبين الحقوق والواجبات، ويراعي جميع جوانب الحياة؛ دون إفراط أو تفريط، ودون غلوٍّ أو تشدد وانحلال، فهو منهج الاعتدال والتوسط. ولا ينبغي أن يكون في خطاب الداعي حزبيةٌ بغيضةٌ ولا مذهبيةٌ ضيقةٌ، حتى يدّعي كل واحد أنه على الحق وما سواه هو الباطل، ويتعامل مع الناس على هذا الأساس ويبرز في خطابه للآخرين. وهذا معارض للوسطية والاعتدال في منهج الدعوة، لأن ما على من يقوم بالخطاب الديني هو القيام بالاعتدال في خطابه مع الآخرين حتى يُثبت بالدلائل والآيات الإلهية أن هذا صراط مستقيم، بلا إظهار كراهية أديانهم وبطلانها بكلام واحد. فهذا هو الذي اعتمد عليه النبي ﷺ، وسيلةً للدعوة إلى الله ورسالته.

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.

ونرى في كلام الله ما يشير إلى تلك السلبية في الخطاب يعني الحزبية الهالكة والمذهبية الضيقة بلا حوار معتدل بين مختلف الأجناس من الناس، حيث يقول جل شأنه: ﴿فتقطّعوا أمرهم بينهم زبرا كلُّ حِزْب بما لديهم فرحون﴾(١).

فالمفهوم من التاريخ والأحاديث أن النبي ﷺ كان يتعامل مع الآخرين من المشركين واليهود والنصارى من أعداء الإسلام والمسلمين بالتعايش والوسطية، مع أنه ﷺ كان يدعوهم إلى الدين القويم ويبشرهم بنعيم الإيمان ويحذرهم عن عاقبة الكفر، وهذه الطريقة الوسطية نطلع عليها طول حياته الكريمة، ومن نماذج وسطيته في التعامل مع الأسراء من غير المسلمين تاريخ ثمامة بن أثال ﷺ. فبعث النبي ﷺ خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي ﷺ فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت فترك حتى كان الغد ثم قال له ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي ما قلت لك فقال أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نجل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى"؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر(٢).

فالنماذج لوسطية الرسول ﷺ لا يمكن الإتيان بها جميعا هنا لما أنها كانت كثيرةً تستغرق أوراقا عديدة، ولأجل وجود الإمكانية لمن يريد أن يقف على جميعها باكتشاف كتب السرية النبوية. فالوسطية التي سبقت تفاصيلها أعلاه هي تلعب دورا بارزا في الدعوة، أيا كانت أساليبها.

(١) سورة المؤمنون، الآية ٥٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال: ص٧٦١.

المطلب الثالث: صفات الداعية المسلمة

الداعي هو المُبَلغ للإسلام، والمعلمُ له، والساعي إلى تطبيقه في الحياة. وهو القائم بأمر الدعوة إلى الله تعالى. ومقامُه مقام بالغُ الأهمية والخطورة، فهو ينوب عن الأنبياء في تبليغ أعظم رسالة في الوجود، من أعظم مرسل لها، لأعظم أمر وجد له الإنسان.

وتأتي أهمية الداعية من كونه أسوة للمدعوين؛ لأن كثيرًا من المدعوين يتأثرون بالأفعال أكثر من تأثرهم بالأقوال، وكثيراً منهم يرى أكثر مما يسمع، ولذلك كلما اتصفت الداعية بالأوصاف الحميدة، كان أثره في الدعوة أكبر، لهذا وجب على الداعية أن يتحلى بصفات مخصوصة، ويتجمل بميزات محمودة، وأن يلتزم بأخلاق معينة، وبتصرفات مشكورة، لكي يؤثر في المدعوين، كيفما تثمر دعوته، وتؤتي أُكلها، وإلا انعكست آثار ذلك على الدعوة سلباً، فيمكن هنا إيجاز أهم صفات الداعية المسلمة فيما يلي:

- الإيمان العميق بمن يدعو إليه، وبالمنهج الذي يدعو إليه.
- الاتصال الوثيق بمن يدعو إليه، وبمن يدعوه كذلك.
- الفهم الدقيق، والعلم والبصيرة بما يدعو إليه.
- العمل بالعلم، والاستقامة في السلوك، وتَحَري القدوة الصالحة
- الوعي والإدراك الكامل بالبيئة والمحيط الذي يمارس فيه دعوته.
- الحكمة في الأسلوب.
- التَّخَلقُ بالخُلُقِ الحسن.
- إحسانُ الظن بالمسلمين.
- أن يستر على الناس زلاَّتهم، وعيوبهم.
- أن يُخَالِط الناس حيث تَحْسُنُ الخُلطة، ويعتزلهم حيث يَحْسُنُ الاعتزال.
- أن ينزل الناس منازلهم، وأن يعرف لأهل الفضل فضلهم.
- أن يتعاون مع غيره من الدعاة، ويشاورهم ويتناصح معهم في أمر الدعوة، وغيرها من أمور العامة والخاصة[١].

(١) أصول الدعوة ومناهجها دراسة تأصيلية في الجانب النظري، د. رمضان محمد علي مبروك مطارد، برنامج الدعوة والإعلام، ٢٠١٥م، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، جامعة قطر: ص ٤٦-٤٧.

ISSN: 2071-6028

تتكون هذه الصفات مما ينبغي أن يحافظ عليه الداعي بينه وبين الخالق المنان، ومما يلازم به الداعي بينه وبين الخلق. فما بينه وبين الخالق فهو سر لا مجال فيه لأحد سواه، فما بينه وبين الخلق ينبغي أن يكون بالوسطية والتعايش السلمي، لأنه يتأثر في ثمرة الدعوة.

وفوق جميع هذه الصفات المذكورة، ينبغي أن يتحلى الداعي المسلم بصفات نفسية هامة أخرى، وهي الإيمان بالله، والإخلاص، والجرأة، والتفاؤل. أمَّا الإيمان بالله فحيث يَتَحَلَّون بالشجاعة والكرم ومراقبة الله، وتتوق نفوسهم إلى الشهادة والجنة. وأمَّا الإخلاص فحيث يترفعون عن المصالح والغايات، ويقصدون بأعمالهم وجه الله سبحانه. وأمَّا الجرأة فحيث يقولون الحق، أينما كانوا لا يخشون في الله لومة لائم. وأما بالتفاؤل فحيث ينطلقون في ميادين الدعوة والجهاد بابتسامةِ أملٍ، ونفسية عزيزةٍ، دون أن يتملكهم يأس أو يستحوذ عليهم القنوط.

الخاتمة

نتعرف من مضامين هذه الدراسة أنه لم يتم انتشار الإسلام في العالم بالحروب ولا بالمنازعات، ولكن كان بالمثالية العالية والقدوة الحسنة التي اتصف بها النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من المخلصين في الدين مع القيام بالدعوة الإسلامية، بالأقوال والكتابات وما إلى ذلك، وإنهم كانوا ينهجون في تعاملهم وخطابهم مع الآخرين بالوسطية الواسعة والرحمة الشاملة. فالوسطية تلعب دورا واسعا في السلام العالمي خلال التعددية الثقافية والاختلاف الديني، وفي الدعوة الإسلامية. وأعتقد بأن هذه الدراسة تكون مفيدة لإبراز قيم الوسطية، والاتاجاهات الإسلامية حول الوسطية. وينبغي أن يكون نطاق الوسطية أوسع مما يوجد الآن من أجل السلام العالمي، وإليها بعض التوصيات:

- تعميم منطق الحوار بين الحضارات والأديان والاتجاهات.
- تشجيع المؤتمرات والشورى في هذا الموضوع بما فيها غير المسلمين أيضا.
- توظيف الفن والتعليم بما يبرز قيم الوسطية.
- توفير الترجمات للكتب العربية التي حول الوسطية إلى لغات أخرى.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أصول الدعوة، للدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٩.
٢. البداية والنهاية، الإمام الحافظ المؤرخ أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ)، طبعة خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ٢٠١٥م.
٣. تفسير ابن كثير، الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط، ٢٠٠١م.
٥. سنن أبي داود، مكتبة تهانوي، ديوتند، أوتر براديش.
٦. سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
٧. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي (ت٤٥٨هـ)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١.
٨. صحيح البخاري، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
٩. صحيح السيرة النبوية، الشيخ إبراهيم العلي الشبلي الجنيني (ت١٤٢٥هـ)، دار النفائس للنشر والتوزيع، العبدلي، عمان، الأردن، ط١.
١٠. صحيح المسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن حجاج القرشي النيسابوري (ت٦٢١هـ)، مكتبة عباد الرحمن، مصر، ط٢.
١١. كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها، يوسف القرضاوي، دار الشروق، مدينة القاهرة، مصر، ط٣، ٢٠١١م.
١٢. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري بك (ت١٣٤٥هـ)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.
١٣. المبادئ العظمى، الإمام العلامة نور الدين علي جمعة، الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٠م.